

مقدمة

مرحباً بالجميع. من الصعب أن نلتقي هنا كل يوم، يوماً بعد يوم، لكن اليوم صعب بشكل خاص، نظراً للأخبار المدمرة حول الغزو البري لغزة، والتقارير عن عشرات القتلى، والخوف من مستقبل أكثر ظلاماً. في مثل هذا اليوم، ضيفتنا يائيل نوي، المديرة التنفيذية لمنظمة "طريق التعافي"، ستجلب صوتاً يذكّر بعض آخر، بعالم يكاد يكون مختلفاً. "طريق التعافي" هي منظمة تطوعية إسرائيلية تنقل المرضى الفلسطينيين من الضفة الغربية – وفي الماضي، أيضاً من غزة – إلى المستشفيات في إسرائيل لتلقي العلاجات المنقذة للحياة. وبالنظر إلى الحصار المدمر على غزة، وإبادة سكانها، وسحق الحياة اليومية فيها، يكاد يُنسى أنه قبل السابع من أكتوبر، كان الفلسطينيون من غزة يأتون إلى إسرائيل لتلقي الرعاية الطبية. لقد سمعنا عن ذلك من الدكتوراة ميخال فلدون، وكذلك في حديث مع أوسنات من منظمة "נשיון". كثيراً ما أتاحت "طريق التعافي" الوصول إلى العلاج – لكن أكثر من ذلك، كانت تخلق لقاءات مباشرة بين الغزيين والإسرائيليين، لقاءات يصعب اليوم على كثيرين من الجمهور اليهودي الإسرائيلي حتى تخيلها. سنشاركنا يائيل عمل المنظمة، في الماضي والحاضر، وتحدياتها وصعوباتها. كما سنقدم أفكاراً عما يمكن وما يجب فعله في هذا الوقت. شكراً جزيلاً لك يائيل على وجودك معنا اليوم.

الحديث

شكراً جزيلاً. أنا متأثرة جداً، وقد تعرّفتُ حتى على بعض متطوّعيننا بين الحضور. كما لاحظت أن معظم الحاضرين هنا من النساء، لذا أشعر بسعادة كبيرة وأنا أتحدث إلى النساء – وأطلب من الرجال في الجمهور أن يسامحوني لأنني سأحدث بصيغة المؤنث. كما قدّمتني يا لنور، أنا يائيل. أنا متطوّعة في "طريق التعافي" منذ عام 2016. أعيش في الشمال، في الجليل الغربي، وبعد وقتٍ قصير من بدء تطوّعي، تواصلت معي يوفال، المؤسس، وطلب مني تنسيق معبر إيرز – أي جميع المرضى الخارجين من غزة. وهكذا وجدت نفسي، على مدى ثلاث سنوات ونصف، أعيش في الجليل لكن أقضي كل أيامي في غزة.

كنتُ على اتصال بمنظمة تُدعى "بسملة الأمل"، وهي تساعد مرضى السرطان في غزة. عملتُ مع محمد زُهزو، شاب في العشرينات من عمره، ابن مؤسس المنظمة، وكان هو نقطة اتصالي الأساسية. كنا على الهاتف طوال اليوم، نتحدث بالإنجليزية المكسرة التي كانت اللغة المشتركة بيننا، وكل يوم كنا نُرسل عشرات المرضى. كان يُرسل لي القوائم، وفي كل مساء كنا نراجع مرضى اليوم التالي. كل صباح، كان عشرات المتطوّعين من جميع بلدات النقب الغربي ينتظرون عند معبر إيرز. كنا نأخذ المرضى (رأيت هنا يائيل شانكر التي كانت تجلس هناك لساعات بانتظارهم) وننقلهم إلى المستشفيات في إسرائيل – شيبا، هدا، أوغستا فكتوريا، وأيضاً رمبام. كانت تلك حياتي لثلاث سنوات ونصف، وخلالها تعرّفت إلى عشرات العائلات في غزة ما زالوا أصدقائي حتى اليوم. ثم جاء السابع من أكتوبر.

في السابع من أكتوبر، دُمر معبر إيرز. القرى المحيطة اجتاحتها المسلحون. سبعة من متطوّعيننا قُتلوا ذلك اليوم. يجب أن أعتزف أنه خلال اليومين الأولين لم أجروْ على الاتصال بغزة، رغم أن عائلات المرضى اتصلت يومها لتسأل كيف حالنا وهل نحن بأمان. عائلات من غزة اتصلت في وسط المجزرة. استغرق الأمر مني يومين أو ثلاثة لأستجمع نفسي قبل أن أرفع الهاتف لأرى ما يجري. على هاتفي، منذ ذلك اليوم، مئات الرسائل المحفوظة التي توثّق كل ما حدث منذ السابع من أكتوبر. كل يوم، طوال اليوم، أتلقى رسائل رعب.

أمس، على سبيل المثال، بينما كنت أقود على الطريق 22 قرب الكريوت، تلقّيت فجأة رسالة من محمد – فيديو يُظهر مبنى المنظمة وهو ينهار. هذا كل شيء. محمد، منذ بداية الحرب، كان يقول إنه لن يغادر غزة، وأن لديه مهمة للمساعدة، وحتى لو مات، فسيموت وهو يؤدي واجبه. لكن في الأيام الأخيرة، لم يحدّ صوته كما كان. يقول الآن: "إذا استطعت، أريد أن أغادر غزة الآن."

إحدى العائلات الأقرب إلى قلبي هي عائلة نُور، فتاة تبلغ الآن 14 عاماً. قضت سنوات في مستشفى رمبام. خضعت لزراعة كلية وكبد من أمها، وصُنِع عنها فيلم وثائقي في وقتٍ ما. هذه الفتاة العريضة والرفيعة خطفت قلب والدي. أنا من عائلة متديّنة، من المجتمع الصهيوني الديني. كان والدي يأخذها بنفسه بانتظام من معبر إيرز في كل مرة كانت تخرج فيها من غزة. تلك العائلة اتصلت بوالدي أيضاً في السابع من أكتوبر. منذ ذلك الحين، تمكنت نُور وأمها من الوصول إلى مصر في الأشهر الأولى من الحرب. ما زلت أحتفظ في المنزل بأدوية أحضرتها من مستشفى شنايدر لتسليمها لها – أدوية لم نتمكن من إيصالها أبداً. لكنني ما زلت على تواصل مع إبراهيم، والداها. كان يقول لي دائماً: "نحن بخير. لدينا بئر ماء" (يسكنون في النصيرات). "لدينا أشجار، لدينا طعام، الحمد لله، نحن بخير." قبل أسبوع، وصلّتي منه رسالة تقول إنهم لم يعودوا قادرين على الاستمرار، وأنها مقبرةٌ تمشي، وأنهم ببساطة ينتظرون الموت، لأن الحياة هناك لم تعد ممكنة. هذا كل شيء. كل يوم، طوال اليوم، نتلقى رسائل كهذه. على هاتفي، حقاً، مئات الرسائل المحفوظة. ربما يوماً ما سأفعل شيئاً بها. لكن في الوقت الحالي، هذه هي واقعنا.

حاولنا مساعدة عائلات المرضى الذين نعرفهم. في بداية الحرب، نجحنا في إخراج بعض الأطفال – إلى دبي، إلى الإمارات، إلى إيطاليا. لكن خلال الأشهر الستة الماضية، لم نتمكن من مساعدة أحد. كل ما يمكننا فعله هو الشهادة على معاناتهم. هذا ما نقوم به الآن. ومع كل الحزن والدمار في غزة، في الثامن من أكتوبر واصلنا نقل المرضى من الضفة الغربية. لم تتوقف ليوم واحد. كل يوم، ننقل عشرات المرضى عبر المعابر التي لا تزال مفتوحة. جميع معابر العمال أغلقت منذ السابع من أكتوبر، لكن معابر

المستوطنين ما زالت مفتوحة، وكل يوم يسافر العديد من المرضى – معظمهم من منطقة الخليل – إلى مركز شيبا الطبي ومستشفى رمبام.

لذلك، لأي شخص يشعر بالعجز اليوم ولا يعرف ماذا يفعل في هذا الوقت الرهيب، يمكنني ببساطة أن أقترح الانضمام إلى شبكة المتطوعين لدينا. الأمر سهل جدًا، حقًا – لا يوجد التزام. كل شخص يقود فقط عندما يستطيع ويرغب، وخلال تلك الساعة أو الساعة والنصف في راحة سيارة مكيفة، يشعر بأنه يقوم بشيء ذي معنى. أدعوكم جميعًا إلى زيارة موقع "طريق التعافي". على موقعنا – <https://www.theroadtorecovery.org.il> – يمكنكم التسجيل بسهولة كمتطوعين. الأمر بسيط، وسهل، ومُرضٍ بعمق. يساعد في تخفيف شعور العجز. وهناك شيء آخر أود مشاركته: الأسبوع الماضي احتفلنا بمرور 15 عامًا على تأسيس المنظمة. أقمنا فعالية كبيرة ومؤثرة في قاعة غان شموئيل. حضر عدد أكبر بكثير مما توقعنا. هناك أيضًا جلبنا أصوات أصدقائنا في غزة – صوت محمد، وصوت أمل، فتاة كنا ننقلها لسنوات، فتاة كفيفة فقدت بصرها بسبب ورم في الدماغ، وتعيش الآن بين أنقاض منزلها. جلبنا أصواتهم، إلى جانب أصوات شركائنا في الضفة الغربية ومتطوعينا. للحظة، كنا فقط معًا، في واقع يصعب عليّ وصفه، لأنني لم أكن هناك كليًا بجسدي من شدة التأثير... فقدت السيطرة قليلًا... لكن كان هناك شيء يحتضن بعمق، وأعطى قليلًا من الأمل في تلك الأمسية. هذا كل شيء، أعتقد أن دقائق الثمانية انتهت.